تمهيد :

وجد اللّغويون في أواخر القرن الرابع المادة اللّغوية مجموعة معدة تحت أيديهم ؛ فكان عليهم أن يوجدوا أسسا جديدة يقيمون معجماتهم عليها ، غير محاولة الجمع التي كان يقتصر عليها من قبلهم في غالب الأمر ، وقد فعلوا ووصلوا إلى أسس مبتكرة ، نتيجة دراساتهم المتعمقة للمواد ، التي جمعها لهم الأقدمون ، ومن أول هذه المعاجم أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي: المجمل والمقاييس.

1- منهج ابن فارس في معجم مقاييس اللّغة:

كانت غاية ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة إماطة اللثام عن بيان الدلالة الأصلي المشترك بين بنى الوحدة اللغوية أو المدخل حيث سمّاها بعض اللغويين الاشتقاق الأكبر أو الكبير، وهو إرجاع مفردات كلّ مادة لغويّة إلى معنى عام أو معان تشترك فيها هذه المفردات ، يقول في مقدّمة معجمه : « إنّ للغة العرب مقاييس صحيحة وأصولا تتفرّع منها فروع . وقد ألّف النّاس في جوامع اللّغة ولم يعربوا في شيء من ذلك عن مقياس من تلك المقاييس ، ولا أصل من تلك الأصول ...وقد صدّرنا كل فصل بأصله يتفرّع منه مسائله ، حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتّفصيل ، ويكون المجيب عما يُسأل عنه مجيبا عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه ».

لقد بدأ معجمه بمقدّمة قصيرة أوضح فيها هدفه من كتابه ومنهجه في علاج المواد ومراجعه ، وقد اتخذ أسسا تقرب من أسس ابن دريد في تقسيم كتابه وترتيبه ، وقد وافقه في الترتيب الألفبائي ولكن وفقا لجذر الكلمة وخالفه في اتخاذه هذا الترتيب الأساس الأول للتقسيم ، موافقا بذلك الخليل ، وأما منهجه اتسم بما يلي :

1/ قسّم مواد معجمه إلى كتب تبدأ بكتاب الهمزة وتنتهي بكتاب الياء.

2/ قسّم كل كتاب إلى ثلاثة أبواب :

- ✓ باب الثنائي المضاعف والمطابق .
- ✓ أبواب الثلاثي الأصول من المواد.
- ✓ باب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية.

ورتب الكلمات في بابي الثنائي والثلاثي بحسب الحرف الثاني منها لاتفاق الحرف الأول فيها ، فالثنائي من كتاب الهمزة مثلا يستهل بالهمزة مع الباء ، فالهمزة مع التاء وغيرهما ، وراعى في الثلاثي ترتيب حرفه الثالث أيضا فيستهل كتاب الهمزة مثلا : بأبت ، أبج وغيرهما ، حتى تنتهي الحروف جميعا.

3/ اهتم بفكرة الأصول أو الاشتقاق الأكبر ، وإذا لم يجد لبعض مدخلات معجمه أصولا مشتركة ، حكم عليها بالتباين أو التباعد أو الانفراد أو عدم الانقياس.

4/ اعتمد على الاختصار مثلا كلمة دث لقد شرحها دون أن يذكرها مثل: (الدال والثاء كلمة واحدة وهو المطر الضعيف) ، وعدم ذكره أسماء بعض اللغويين الذين يقتبس منهم وخاصة الخليل وابن دريد وغيرهما.

5/ عناية المؤلّف بالعبارات المجازية وهو ينبه عليها ويصرح بأنها من المجاز أو المستعار أو المشبه أو المحمول ، وقد يضعها في آخر المادة . قال في آخر مادة دعو (ويحمل على الباب مجازا أن يقال : دعا فلان مكان كذا إذا قصد ذلك المكان ، كأن المكان دعاه.

6/ تعدّد الأقوال لكثير من اللغويين كأنما يريد المؤلف أن يأتي لأصوله التي استنبطها بالأدلة المتنوعة من مراجع مختلفة.

2- أثره :

ساهم مقاييس اللغة وشقيقه المجمل في طرح فكرة التقاليب الخليلية ، وتنظيم الأبواب ، وقدّم للمعجمات فكرتي الأصول والنحت اللتين أفاد منهما كثير من اللغويين الذين أتوا بعده خاصة الصاغاني في العباب ، ومرتضي الزبيدي في تاج العروس ، ولكن لم يكن له تأثير مهم في تطور المعجم العربي ، لأنه ليس معجما عاما للغة وإنما هو معجم خاص يدافع عن فكرة معينة.

3- مآخذ عن كتاب مقاييس اللغة :

- ✓ صعوبة ترتيبه.
- ✓ الاضطراب في تقسيم مواد المعجم حسب الأصول.
- ✓ ميله إلى الاختصار وعدم شرحه بعض الألفاظ ، وعدم نسبة ما يقتبسه إلى أصحابها.